الضيـــف
في القرآن الكريم
(دراسة موضــوعيــة)

د. احمد أبو بكر حازم

Guest and it's meaning in Holly Quran

Phd., Ahamed Abu Baker Hazim

This research dealt with the guest issue meant in Holly Quran and built this plan on an introduction and four researches, where he showed in the introduction the importance of the subject and the reason it chosen and the reference he appointed in his writings ,,then he talked in the first research about the guest reality in language and idioms, then in the second research he talked about Ibraham Guests (Allah Blessed Him) , their characteristics ,hostility and the reasons of Abraham fright of the guests ,and in the third research he talked about Lot (Allah Blessed Him) guests and his wife attitude towards Lot's guests ,in the fourth research he talked about the hostility of Moses and the (Blessed Worshiper) (Allah Blessed Them) ,and in the conclusion he talked about the best results the he reached through the research.

فهرس الموضوعات

اسم الموضوع

المقدمة

المبحث الأول حقيقة الضيف في اللغة واصطلاح المفسرين

المطلب الأول تعريف الضيف في اللغة

المطلب الثاني تعريف الضيف في اصطلاح المفسرين

المبحث الثاني ضيوف إبراهيم الخليل (عليه السلام)

المطلب الأول صفة ضيوف إبراهيم الخليل (عليه السلام)

المطلب الثاني كرم الضيافة عند إبراهيم الخليل

المطلب الثالث أسباب فزع إبراهيم (عليه السلام) من الضيوف

المبحث الثالث ضيوف لوط (عليه السلام)

المطلب الأول زوجة لوط علاقتها وموقفها من ضيوف لوط

المطلب الثاني ضيوف لوط في مهمة ربانية

المبحث الرابع الضيافة لموسى والعبد الصالح(عليهما السلام)

المطلب الأول الضيافة للدعاة

المطلب الثاني بناء الجدار لقوم بخلاء

الخاتمــــــة

المصادر والمراجع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أفاض علينا بنعمه، وغمرنا بمكارمه، بعد أن أهبطنا إلى أرض ضيافته، والصلاة والسلام على المكرم لضيفه، والباذل لنازله سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وأما بعد :

فان الضيافة تعد إرثا عظيما، ورثه الناس من معالم النبوة الأولى، وقد تعلق العرب بها منذ زمن بعيد، فأكرموا نزيلهم بالطعام والمنام وأسعدوا قلبه بالترحاب، وفي ذلك يقول عروة بن الورد:[1]

فراشي فراش الضيف والبيت بيته　　ولم يلهني عنه غزال مقنع

أحدثه إن الحديث من القرى　　وتعلم نفسي أنه سوف يهجع[2]

ولفرط محبتهم للضيف استخدموا الكلاب والنار كأمارات لترشد الضيف عليهم[3]. فلما بزغ فجر الإسلام بنوره أقر هذه الصفة الحميدة وحث عليها لما فيها من الألفة والمحبة ووحدة المجتمع، وعدها لنا خصلة من خصال الإيمان فقال (y): " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه "[4]. ولترك الضيافة أثر

---

(١) عروة بن الورد بن زيد بن عبد الله العبسي من غطفان من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها،ت / ٣٠ق. هـ، ٥٩٤ م، ينظر: الإعلام للزركلي ت / ١٣٩٦ هـ، ن / دار العلم للملايين، ط / ١٥- ٢٠٠٢ م (٢٢٧/٤)، ومعجم المؤلفين لكحالة ت / ١٤٠٨ هـ، ن / مكتبة المثنى، دار أحياء التراث العربي، بيروت (٦ / ٢٧٩).

(٢) ديوان عروة بن الورد، ن / وزارة الثقافة والإرشاد ١٩٦٦م القاهرة، ص ٦٥.

(٣) ينظر: نهاية الأرب، للنووي ت / ٧٣٣ هـ، ن / المؤسسة المصرية العامة القاهرة، (١١٣/١).

(٤) الحديث صحيح لوروده في الصحيحين، اذ رواه البخاري في صحيحه / لمحمد بن إسماعيل البخاري ت / ٢٥٦ هـ، ن / دار ابن كثير اليمامة، وبيروت، ط (٣)، ١٤٠٧ هـ، ك / الأدب، ب/من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذه جاره، برقم (٥٦٧٢)، (٢٢٤٠/٥)،=

وعلامة على الأنانية وحب الذات ولقد رأيت ضعف تعلق الناس بهذه الصفة وذلك لحب الذات والتعلق بالدينار والدرهم، ولتهاونهم في معرفة الوجه الناصع البياض، والمتعلق بمحاسن ديننا، وفي ذلك مساس للمعاني الأخلاقية في المجتمع الإسلامي، ولأجل بناء جيل متماسك، ومترابط يسوده الحب والإخاء، وتبادل الأخلاق الحميـــدة بين صفوفه. من أجل ذلك جاء هذا البحث وما احتوت مباحثه ليدعم الحث علـــى الأخلاق الرفيعة، والله اسأل ان يلهمنا السداد والرشاد.

منهجية البحث:

وأما المنهج الذي اتبعته في بحثي، فهو على النحو الآتي:

١) أحصيت الآيات المتعلقة بالضيف، وفق ترتيب نزولها على النبي (y)،التي بلغ عـــددها (١٣) ثلاث عشرة آية في (٥) خمس سور مكية، وقمت بترتيبها وفق مباحث ومطالب.

٢) ربط آيات المصطلح بمواضيع قصص الأنبياء(عليهم السلام).

٣) ربط المعنى اللغوي للمصطلح مع الاستعمال القرآني.

٤) دمج المصطلح القرآني مع السياق الذي وردت فيه، وبيان تناســق وتناســب المصطلح مع الآية التي ورد فيها، ومع السياق الذي وردت فيه الآية، وذلــك لبيان الوحدة الموضوعية في المعنى المراد.

٥) بينت المفردات التي تحتاج إلى توضيح وبيان.

٦) راجعت تفسير الآيات التي أوردت المصطلح في أمهات كتب التفسير والحديث واللغة.

=رواه مسلم في صحيحه لمسلم بن الحجاج النيســابوري ت / ٢٦١ هـــ، ن / دار الجيــل والآفاق، بيروت، ك / الإيمان، ب/ في الحث على إكرام الجار والضيف برقم (١٨٢)، (١ / ٤٩).

٧) خرجت الآيات، والأحاديث الصحيحة، والأقوال المأثورة عن الصحابة والتابعين ومشاهير المفسرين وأقوال العرب، من مضانها الأساسية.

٨) لاحظت البعد الواقعي المعاصر للمصطلح القرآني (موضوع البحث)، وذلك من خلال النظر في الآيات التي أوردتها للوقوف على أبعادها الواقعية، وإدراك إشاراتها وإيحاءاتها الواقعية، ومدى صلاحيتها لمشكلات المجتمع، ومعايشة مضامينها التربوية والاجتماعية.

٩) الوقفة المتأنية الفاحصة أمام الآيات التي أوردت المصطلح، واستخلاص دلالتها، والالتفات إلى لطائفها، واستنباط دروسها، وعبرها، وحكمها، وتسجيل حقائقها.

١٠) وأخيراً بينت رأي واختياري باعتباره نتيجة لجولتي مع المصطلح القرآني، وثمرة علمية وعملية وتربوية لبحثي...

خطة البحث:

واما خطة البحث التي اتبعتها فهي كالآتي :

تضمنت هذه الدراسة على : مقدمة وأربعة مباحث، وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع. بينت في المقدمة أهمية الموضوع، وسبب اختياري له، والمنهج الذي اعتمدته في كتابته. تكلمت في المبحث الأول : حقيقة الضيف في اللغة، واصطلاح المفسرين. وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف الضيف في اللغة.

المطلب الثاني : تعريف الضيف في اصطلاح المفسرين.

وتناولت في المبحث الثاني : ضيوف إبراهيم الخليل (عليه السلام)، وفيه ثلاث مطالب :

المطلب الأول : صفة ضيوف إبراهيم الخليل.

المطلب الثاني : كرم الضيافة عند إبراهيم الخليل.

المطلب الثالث: أسباب فزع إبراهيم من الضيوف.

ثم بينت في المبحث الثالث : ضيوف لوط (عليه السلام)،وفيه مطلبان :

المطلب الأول : زوجة لوط علاقتها وموقفها من ضيوف لوط.

المطلب الثاني : ضيوف لوط في مهمة ربانية.

ودرست في المبحث الرابع : الضيافة لموسى والعبد الصالح (عليهما السلام)، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الضيافة للدعاة.

المطلب الثاني: بناء الجدار لقوم بخلاء.

ثم جاءت الخاتمة، وقد بينت فيها النتائج التي توصلت إليها من كتابة البحث. وقد اعتمدت في كتابة بحثي على (القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة)،واستخدام أمهات المصادر والمراجع التفسيرية والحديثية واللغوية..

وأسأل الله العلي القدير أن يوفق الجميع لخدمة نور الدين، وأصلي وأسلم على حبيبي محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

M½¾¿ À ÁÂ Ã ÄÅÆÇ È ÊË Ì L[1].

الباحث

المبحث الأول

حقيقة الضيف في اللغة واصطلاح المفسرين

المطلب الأول : تعريف الضيف في اللغة:

(ضيف) : الضاد والياء والفاء أصل واحد صحيح يدل على ميل الشيء إلى الشيء.

فيقال : ضفت إلى كذا وأضفت كذا الى كذا.

وضافت الشمس للغروب وتضيفت، وضاف السهم عن الهدف وتضيف أي مال إلى كذا[1]، ومنه قول الفرزدق[2].

(١) سورة آل عمران، الآية (٨).

وجرت الثرى فينا إذا يبس الثرى

ومن هو يرجو فضله المتضيف[٣].

وأصل الضيف : مصدر للفعل (أضاف)، ولذلك استوى فيه الواحد والجمع. كعدل وخصم ومن صيغ جمعه : أضاف، وضيوف وضيفان وهي : ضيف وضيفة قال تعالى : M© ª « ¬ ® ¯ L ،[٤] M q r s t u
v كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ ¤ ¥ ¦ § ¨ ©
« ¬ ® ¯ L [٥]

---

(١) ينظر : مادة (ضيف) في العين للفراهيدي ت / ١٧٠هـ، ن / دار مكتبة الهلال (٦٧/٧) والمقاييس لأبي فارس ن / ٣٩٥ هـ، ن / إتحاد الكتاب العربي ط / ٢٠٠٢م، (٢٩٨/٣)، واللسان لابن منظور، ت / ٧١١ هـ، ن / دار صادر بيروت ط / ١، (٩ / ٢٠٨)، والمفردات للأصفهاني ت / ٤٢٥ هـ، ن / دار القلم بدمشق، ط / ١ – ١٩٩٦ م ، (٥١٣)، والبصائر للفيروز أبادي ت / ٨١٧ هـ، ن / لجنة أحياء التراث الإسلامي. ١٣٨٧ هـ،القاهرة (٣ / ٤٨٨).

(٢) هو همام بن غالب بن صعصعة أبو فراس التميمي البصري رفيق جرير،ت١١٠هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي،ت٧٤٨هـ، ن،دار الحديث، بالقاهرة،ط/ ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م،(٥٨١/١٧)، والأعلام، (١٤٢/٥).

(٣) ديوان الفرزدق،ن/ دار صادر، بيروت، ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠/،(٢٨/٢).

(٤) سورة الذاريات، الآية (٢٤).

(٥) سورة هود، الآية (٧٨).

L Ç ÆÅ Ä Ã Â M. [(1)]،وبعد الاستقراء والتتبع لمصنفات أهــل اللغة وجدت أن الضيف بالكسر تعني المعاني الثلاثة الآتية :

أولاً : الميل والنزول في مكان ما، فيقال : ضيفت الرجل ضــيفاً وضــيافةً وتضيفته ؛ أي نزلت به ضيفاً وملت إليه، أو نزلت به وصرت له ضيفــاً.

وقد(نهى رسول الله (y)عن الصلاة إذا تضيفت الشمس للغروب)[(2)].

ويقال للمرأة : ضافت وتضيفت إذا حاضت لأنها مالت مــن الطهــر إلــى الحيض.

ثانياً : الالتجاء والمأمن، فيقال: استضاف من فلان إلى فلان، إذا لجأ إليــه، وذلك القول منقول عن ابن الأعرابي إذ أنشد :

ومــارسني الشيب عــن لمتي

فأصبحت عن حقه مستضيفاً[(3)]

يقال: أضاف من الأمر إذا أشفق وحذر من إضافة الشيء إلى الشــيء إذا ضمه إليه، ويقال: أضاف من الأمر وضاف إذا خافه وأشفق منه[(4)].

---

(١) سورة الحجر، الآية (٦٨).

(٢) رواه مسلم في صحيحه في ك / الصلاة في ب/ الأوقات التي نهي عن الصلاة فيهــا بــرقم (١٩٦٦)، (٢٠٨/٢).

(٣) ذكر لهذا البيت الشعري صاحب كتاب اللسان (٩ / ٢٠٨)، ولم أعثر علــى ديــوان ابــن الإعرابي وهو محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي أبو عبد الله راويــة علامــة باللغــة والأنساب والشعر من أهل الكوفة كانت وفاته سنة (٢٣١ هــ).

ينظر:الوافي، للصفدي ت / ٧٦٤ هــ، ن / دار أحياء التراث العربي، بيروت،١٤٢٠ هـــ - ٢٠٠٠م،(٣ / ٦٧)، والإعلام (١ / ٣٣٤).

(٤) ينظر : العين (٧ / ٦٧)، والمقاييس، (٢٩٩و٣٠٠)، واللسان (٩ / ٢٠٨).

ثالثاً : يعني الطعام : يقال ضيفته إذا أطعمته، والتضيف الإطعام قال تعالى: L E D C M[(١)]، أي أنهم سألوهم الضيافة فأبوا[(٢)]، وفي قراءة الأعمش (فأبوا أن يطعموهما)[(٣)].

وبهذا تبين لنا أن حقيقة الضيف في اللغة العربية يراد به ميل الضيف ونزوله عند المضيف والتجائه إليه، ومن ثم يترتب على ذلك من تحصيل الأمان وجلب الطعام

ـ المطلب الثاني ـ

ـ تعريف الضيف في اصطلاح المفسرين ـ

أختلف المفسرون في تعريف الضيف إلى ثلاثة أقوال وهي :

القول الأول: ما ذهب إليه أكثر المفسرين بأن الضيف: هو النازل عند غيره دعي أو لم يدع. وقال الراغب الأصفهاني والفيروز آبادي: (الضيف : من مال إليك نازلا بك)[(١)].

وذهب إلى مثل هذا أو قريب منه الماوردي[(٢)]، والزمخشري[(٣)]، وابن الجوزي[(٤)]، والرازي[(٥)]، والقرطبي[(٦)]، وابن عادل[(٧)]، والآلوسي[(٨)]، والشعراوي[(٩)].

---

(١) سورة الكهف، من الآية (٧٧).

(٢) ينظر : اللسان (٩ / ٢٠٨).

(٣) معجم القراءات : د. عبد اللطيف الخطيب، ن / دار أسعد الدين، دمشق، ط / ٢ – ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، (٥ / ٢٧٥).

(١) المفردات (٥١٣) والبصائر (٣/ ٤٨٩)، وتفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم لسميح عاطف الزين، ن الشركة العالمية للكتاب دار الكتاب العالمي ط / ٣ _ ١٩٩٤ م (٥٣٠).

(٢) ينظر : النكت والعيون، للماوردي ت / ٤٥٠ هـ، ن / دار الكتب العلمية، بيروت (٥ / ٣٦٩).

(٣) ينظر : الكشاف،للزمخشري ت / ٥٣٨ هـ ن / دار إحياء التراث العربي، بيروت (٢ / ٦٨٨).

القول الثاني : ما ذكره البقاعي بقوله: " الضيف : هو المنضم إلى غيره لطلب القِرَى"[١٠]، أي الإحسان اليه، وإلى مثل هذا أو قريب منه قال به الشوكاني[١١].

القول الثالث : ما أشار إليه ابن عاشور قائلاً : (الضيف : هو النازل في منزل أحد نزولاً غير دائم لأجل مرور من سفر أو إجابة دعوة)[١٢].

والذي أراه أن التعريف الأول هو الراجح، لأنه لم يعلق الضيف على سبب معين، بخلاف التعريفيين الأخيرين، إذ علقا الضيف على السفر، أو إجابة الدعوة،

---

(٤) ينظر : زاد المسير، لابن الجوزي ت / ٥٩٧ هـ، ن / المكتب الإسلامي، بيروت (٥ / ١٧٥).

(٥) ينظر : مفاتيح الغيب، للرازي ت / ٦٠٦ هـ، ن / دار الكتب العلمية بيروت، ط / ١، (١٣٣/٢١).

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ت / ٦٧١ هـ ن / دار الفكر، ط / ١- ٢٠٠٨ م (٥ / ١٠ / ٢٢)

(٧) ينظر : تفسير اللباب، لابن عادل ت / ٨٨٠ هـ، ن / دار الكتب العلمية، بيروت، (١ / ٣١٥٧).

(٨) ينظر : روح المعاني، للآلوسي ت / ١٢٧٠ هـ، ن / دار الفكر، بيروت (٩ / ٨/١٦).

(٩) ينظر : تفسير الشعراوي، لمحمد متولي الشعرواي، ن أخبار اليوم، قطاع الثقافة، ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م، (١٣/ ٧٧١٨).

(١٠) ينظر : نظم الدرر، للبقاعي ت / ٨٨٥ هـ، ن / دار الكتب العلمية بيروت، ط / ٢ – ٢٠٠٢ م، ٤ / ٣٥٧ .

(١١) ينظر : فتح القدير، للشوكاني، ت/١٢٥٠هـ، دار الوفاء، ط(١)، ١٩٩٤م،(٣/ ١٣٦).

(١٢) ينظر : التحرير والتنوير لابن عاشور ت / ١٣٩٣ هـ، ن / مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط / ١، (٣٠٣/١١).

أو طلب القِرى، وأيضاً لأنه أعظم للترابط، والمحبة، والصلة بين المسلمين، فعلـــى هذا إذا جاءك رجل من بلدك، أو مدينتك، ودخل بيتك حتى، وإن كان غير مسافر، فهو ضيف وعليك إكرامه.

ويؤيد هذا حديث النبي(y)، فقد اخرج الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة، قال خرج رسول الله(y)، ذات يوم وليلة، فإذا هو بابي بكر وعمر.. فأتوا رجلا من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة، فقالت: مرحبا، وأهلا، فقال لهـــا رسول الله(y)، (أين فلان)؟. قالت: ذهب يستعذب لنا الماء، اذ جاء الأنصـــاري، فنظر إلى رسول الله(y)، وصاحبيه ثم قال: الحمد لله ما احد اليوم أكـــرم اضـــيافا مني..[1].

ـ المبحث الثاني ـ

ـ ضيوف إبراهيم الخليل (عليه السلام) ـ

المطلب الأول: صفة ضيوف ابراهيم الخليل (عليه السلام):

قال تعالـــى :M ¥ ¦ § ¨ © ª « ® ¯ ± 2 3 ´ µ ¶ L[1]، وقال تعالـــــــى:M Ó Ô Õ Ö ! " # $ % & ' ( ) L[2]، وقال تعـــالى: M© ª « ¬ ® ¯ ± 2 3 ´ µ ¸ 1 º » L[3].

تتحدث هذه الآيات الكريمات عن صفة أول ضيف ذكر في القرآن الكـــريم وهو ضيف سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، عن رسول الله (y) من الملائكة الكرام،

---

(١) ينظر: الحديث كاملا في صحيح مسلم،ك/ الاشربة، ب/ جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، رقم الحديث (٥٤٣٤)، (١١٦/٦).

(١) سورة هود، الآية (٦٩).

(٢) سورة الحجر، الآيات (٥١ – ٥٢).

(٣) سورة الذاريات، الآيات(٢٤ – ٢٥).

تسلية لقلب النبي(y)، ببيان أن غيره من الأنبياء – كان مثله وأخبار إبراهيم لكونه شيخ المرسلين وكون النبي (y)على عقيدته وهو على سنته.

M ¥ ¦ § ¨ © L، لم يفصح السياق عن هذه البشرى بل ذكرها مطلقة إلا في موعدها المناسب بحضور امرأة إبراهيم أو الرسل الملائكة وهم هنا مجهولون(٤).

M Ó Ô Õ Ö L، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد (y). أخبر عبادي بما جرى على إبراهيم من الأمر بالمناجاة الذي اجتمع فيه له الرجاء والخوف والتبشير الذي خالطه نوع من الوجل من خلال الملائكة الذين تشكلوا بشكل أناس غرباء مارين ببيته ليعتبروا بذلك ويعلموا أنها سنة الله سبحانه في عباده، وأيضاً لما اشتملت القصة على انجاء المؤمنين وإهلاك الظالمين كان في ذلك تقرير لكونه الغفور الرحيم وأن عذابه هو العذاب الأليم(١).

M© ª « ¬ ® ¯ L، ويبدأ الحديث بتفصيل أكثر عن سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، بالاستفهام (هل أتاك ؟)، والتعجب والتشويق وتفخيم شأن القصة والخبر وتهيئة الأذهان على أنه ليس مما علمه رسول الله (y) بغير طريق الوحي.وقد سمى الله تعالى ملائكته بالضيف المكرمين، لأنهم جاءوا في صورة ضيوف من البشر، وقد أضافهم إبراهيم (عليه السلام)، وهم كانوا عند الله تعالى

---

(٤) ينظر : روح المعاني (١٣٩/١٢/٧)، وفي ظلال القران، لسيد قطب ت / ١٣٨٧ هـ، ن/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط / ٥، (٤ / ١٢ / ١١٦)، والأضواء للشنقيطي ت / ١٣٩٣ هـ، ن / دار الفكر، بيروت، (٢ / ١٨٥).

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ت / ٣١٠ هـ، ن / مؤسسة الرسالة، ط / ١، (١١٢/١٧)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ت / ٧٧٤ هـ، ن / دار طيبة، ط /٢ (٤ / ٥٤)، وتفسير اللباب لابن عادل(١٣ / ٤٦٠)، وفتح القدير (٣ / ١٣٦).

مكرمين بالعصمة، والسفارة بين الأنبياء أو عند إبراهيم بالخلافة، لأنـــه قـــام لهـــم بالضيافة على أحسن ما يكون[١].

($ µ ¸ ¹).. كانت تحية الملائكة في المواضع الثلاثة منصوبة على انها فعلية، وتحية سيدنا إبراهيم (عليه السلام) مرفوعة على أنها اسمية، والجملـــة الاسمية تدل على الثبات والدوام بخلاف الجملة الفعلية التـــي تـــدل علـــى التجـــدد والحدوث ولهذا اختار الخليل الأفضل عملاً بأدب الله تعـــالى بقولـــه : M Ñ Ò Ó Ô Õ Ö × Ø ÚÛÜÝÞß à L [٢].ونستنتج مما تقـــدم علـــى مشروعية السلام وإن تحية الملائكة هي نفس تحية المسلمين جميعاً[٣].

ــ المطلب الثاني ــ

ــ كرم الضيافة عند إبراهيم الخليل ــ

قال تعالـــى : M ¥ ¦ § ¨ © ª « ® ¯ ± ² ³ ´ µ ¶ L [٤]،وقولـــه تعالـــــى: M ½ ¾ ¿ À Á Â Ä Å Æ Ç È L [٥].

تعبر هذه الآيات الكريمات عن زيادة كرم وسخاء ســـيدنا إبـــراهيم (عليـــه السلام) لضيوفه من الملائكة الكرام وهو لايعرفهم.

---

(١) ينظر : الكشاف (٤ / ٤٠٤)، وفتح القدير (٥ / ٨٨)، والتفســـير الثمـــين لعثيمـــين ت / ١٤٢١ هـــ، ن / مكتبة الطبري ومجمع البحرين، ط / ١ – ١٤٣٠ هــ - ٢٠٠٩م، (١٤ / ١٦٠)، والقبس للصابوني، ن / دار الفكر، بيروت، ط / ١ لدار السلام، (١٣ / ١٨).

(٢) سورة النساء، الآية (٨٦).

(٣) ينظر : النكت والعيون (٢ / ٤٨٢)، والكشاف (٤ / ٤٠٤)، وأحكام القرآن لابن العربي ت / ٥٤٣ هــ، ن / دار الكتب العلمية، بيروت، (٥ / ٢١).

(٤) سورة هود، الآية ٦٩.

(٥) سورة الذاريات، الآيات ٢٦ – ٢٧.

فقد روي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (y) : (كان أول من ضيّف الضيف إبراهيم)[1]. وكان إبراهيم خليل الرحمن يكنى أبا الضيفان وكان لقصره أربعة أبواب لكي لا يفوته أحد، M ± ² ³ ´ µ ¶ L.

تدل على سرعة الأمر في إكرام الضيف،وهو من آداب الضيافة، إذ أن الفاء للتعقيب أي لم يبطيء ويمكث كثيراً بعد السلام على الملائكة الكرام، حتى جاء بالعجل : وهو ولد البقر ويسمى الحسيل لأن عامة ماله كان من البقر والحنيذ أي المشوي بالحجارة المحماة في أخدود في حفرةٍ من الأرض[2].

M ½ ¾ ¿ À Á Â Ä Å Æ Ç È L،أي ذهب إلى أهله ورجع بسرعة وخفية من ضيفه، لأن من أدب المضيف أن يبادر بإحضار الضيافة من غير أن يشعر به الضيف حذرا من أن يمنعه الضيف أو يثقل عليه في التأخير. واختار العجل السمين زيادة في اكرامهم[3].

ثم جاء السؤال بالاستفهام الإنكاري بعد ان وضع الطعام بين أيديهم فلم يأكلوا، فقال لهم في تلطف وبشاشة: الا تأكلون هذا الطعام ؟ ولم يأمرهم أمراً يشق

(١) رواه الشيباني في الأوائل ت / ٢٨٧ هـ، ن / دار الخلفاء للكتاب الإسلامي في الكويت، ك / الأوائل لابن أبي عاصم، ب / ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم برقم (١٨)، (١ / ٦٣)، وقال بعد ما روي الحديث : إسناده لا بأس به ورجاله موثوقون، وشعب الإيمان للبيهقي ت / ٤٥٨ هـ، ن / دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ١ – ١٤١٠ هـ، (٦ / ٣٩٥)، والدر المنثور للسيوطي ت / ٩١١ هـ، ن / دار الفكر، بيروت، (١ / ٢٨٣).

(٢) ينظر : مادة (عجل) في المقاييس (٤ / ١٩٤)، واللسان (١١ / ٤٢٥)، ومادة (حنيذ) في كتاب العين (٣ / ٢٠١)، والمقاييس (٢ / ٨٧)، اللسان (٣ / ٤٨٤)، والمفردات (٢٦٠ و ٥٤٩)، والبصائر (٢ / ٥٠٥)، وتفسير اللباب (١ / ٢٨٧٤)، والتحرير والتنوير (١١ / ٢٩٤)، وتفسير الشعراوي (١١ / ٦٥٥٤).

(٣) ينظر : جامع البيان (٢٢ / ٤٢٥)، والمفردات (٣٧٣)، والكشاف (٤ / ٤٠٤).

على سامعه بصيغة الحزم بل قال على سبيل العرض والتلطـــف وهـــو مـــن أدب الضيافة[١].

ونستنتج مما تقدم : إن من أدب الضيافة أن يعجل قراه، فيقدم الموجود الميسر في الحال، ثم يتبعه إن كان لديه شيء وسعة.

ــ المطلب الثالث

ــ أسباب فزع إبراهيم (عليه السلام) من الضيوف ــ

قال تعـــالى: M ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë L[٢].وقال تعـــالى: M ! " # $ % & ' ( ) (* + , - . / 0 1 L[٣].

تدل هذه الآيات على المفاجأة العجيبة، إذ لم تمتد يد أحد من الضيوف إلـــى هذا الطعام الشهي اللذيذ، فما الأمر وما الخبر ؟ إن من عادة الكريم أن يقدم الدعوة، ومن عادة الضيف أن يلبي هذه الدعوة، فيأكل من طعامه تطبيباً لخاطره، وتأنيســـاً له، لأن ما قدمه ليس إلا تكريماً لضيفه ولا يأبى الكرامة إلا لئيم، فكيف لم تمتد إلى هذا الطعام الشهي أيدي هؤلاء الضيوف ؟ وهنا داخله الفــزع مـــنهم، وخشـــي أن يكونوا قد جاءوا لقصد الشر والسوء به، ولم يدر بخلده أنهم ملائكة لا يـــأكلون ولا يشربون.

M ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ L، أي فلما رآهم لا يمدون أيـــديهم إلـــى الطعام ولا يأكلون منه، أنكرهم وأستنكر فعلهم.

M À Á Â L، أي أحس في نفسه واستشعر وأدرك الخوف والفزع.

---

(١) ينظر : زاد المسير (٨ / ٣٥)، وتفسير القرآن العظيم (٧ / ٤٢١).

(٢) سورة هود، الآية(٧٠).

(٣) سورة الحجر، الآيات(٥٢ _ ٥٣).

قال قتادة : " كان العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم، توقعوا منه المكروه والشر، وظنوا أنه لم يجيء بخير، وأنه يحدث نفسه بشر "(١).

ولهذا السبب فزع منهم إبراهيم (عليه السلام)..

ومن أدب الضيافة النظر إلى الضيف هل أكل أم لا ؟ ولكن ينبغي أن يكون بتلفت ومسارقة لا تحديد النظر(٢).

ولما رأت الملائكة ما أصاب إبراهيم من الفزع، والاضطراب سارعوا إلى تهدئة روعه، وإخباره عن الحقيقة التي جاءوا من أجلها، ألا وهي إهلاك الطغاة المفسدين من قوم لوط.

M Ä Å Æ Ç È É Ê Ë L، أي لا تخف منا فانا ملائكة ربك، لا نأكل ولا نشرب، وقد أرسلنا الله تعالى لإهلاك قوم لوط.

M! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0

1 L كانت المفاجأة والفزع أكبر وذلك من خلال القول والمجاهرة بالخوف من عدم الأكل؟ بعد أن كان الخوف في داخل النفس، وعدم ذكر رد السلام على الملائكة وعدم إحضار العجل لهم حينئذ كما تقدم كل ذلك في سورة هود، كما أنه لم يذكر لنا السبب. لأن المجال هنا مجال تصديق الرحمة التي تنبئ الله بها عباده على لسان رسوله بقوله : M Æ Ç È É Ê Ë L(٣).

لا مجال لتفصيلات قصة إبراهيم.. ولهذا سارعت الملائكة على تأمينه وتطمينه وعجلوا له البشرى بالغلام العليم... وقد عجلوا بهذا السياق دون تفصيل(٤).

---

(١) جامع البيان (١٥ / ٣٨٧)، والمفردات (٨٥٥)، والنكت والعيون (٢ / ٤٨٣)، وفتح القدير (٢ / ٥٢١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥ / ٩ / ٤٠)، وروح المعاني (٧ / ١٢ / ١٤١).

(٣) سورة الحجر، الآية (٤٩).

(٤) ينظر : فتح القدير (٣/ ١٣٦)، وروح المعاني (٨ / ١٤ / ٨٩)، وفي الظلال (٥ / ١٤ / ٢٩)، والأضواء (٢ / ٢٨٠).

ونخلص إلى القول : بالحرص على وصف أحاسيس المضـــيف ومخاوفـــه حين تقديم الطعام لضيفه وامتناعهم عن الأكل.

وكذلك كانت بشارة الملائكة لإبراهيم بإهلاك قوم لوط، وبـــولادة إســـحاق الموصوف بالغلام العليم، سبباً في طرد مخاوف إبراهيم من عدم أكـــل الملائكـــة لطعامه وإشعاره بالأمن والسلامة.

ــ المبحث الثالث ــ

ــ ضيوف لوط (عليه السلام) ــ

المطلب الأول : زوجة لوط علاقتها وموقفها من ضيوف لوط:

قـــال تعـــالى : M c d e f g h i j k l m n o * q r s t u v w x y { | } ~ ¤ ¥ ¦ § ¨ © « ¬ ® ¯ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ L [(١)].

وسكت السياق.. وسدل الستار على مشهد إبراهيم وزوجه، ليرفع هناك على مشهد حافل بالحركة والانفعال مع لوط وقومه.

M c d e f L، من الملائكة بعدما اعلموا إبراهيم بهلاكهم، وكانوا في أجمل صورة، بهيئة شباب حسان الوجوه.

M g h i j k L فساء لوط بمجيئهم وضاقت نفسه بسببهم لأنـــه ظن أنهم من الإنس فخاف عليهم خبث قومه، وإن يعجز عن مقاومتهم.

M l m n o L، شديد البلاء.

M q r s t L،بسرعة عندما سمعوا بالضيوف وقدومهم بإخبـــار امرأته لهم، فأتوا مسرعين من فرحهم بذلك، لإتيان الفاحشة بهم، وليس ذلك غريباً.

---

(١) سورة هود، الآيات (٧٧ – ٧٨).

M u v w x y L، ويرتكبون الفواحش، فلم يــزل هــذا عــن سجيتهم[١].

M قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ L، وهذا هو غاية الكرم والسخاء والعطاء في سيدنا لوط(عليه السلام)، بقومه عندما عرض لهم بنات القوم ونسائه باســلوب لترقيق نفوسهم عليه للزواج منهن لا للسفاح، فإن النبي للأمة بمنزلة الوالد ويؤيــد هذا في قراءة ابن مســعود: "M ¨ © ª « ¬ ¯ ° L[٢]، وهو أب لهم "[٣].

وكان في شريعة لوط جواز زواج المؤمنات من الكفار وكذلك كــان ذلــك جائزا في اول الإسلام ثم حرم، بقوله تعالى : M Å Æ Ç È L[٤].

فزوج رسول الله(y)، ابنته زينب لأبي العاص بن الربيع، وابنته رقية لعتبة بن أبي لهب قبل البعثة، وكانا كافرين.[٥].

وقد أرشدهم لوط إلى ما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة من العفة والنظافــة والطهر[٦]، فالكريم الشهم الأبي هو الذي يحافظ على كرامة ضيوفه لذا قال لوط :

---

(١) ينظر : جامع البيان (٤١١/١٥)، والمفردات (٨٤٠)، والنكــت والعيــون (٢ / ٤٨٧)، والتفسير المنير د. الزحيلي ن / دار الفكر بدمشق، ط / ٢، (٦ / ٤٣٠).

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٢٦.

(٣) معجم القراءات (٧ / ٢٥٠ و ٢٥١).

(٤) سورة الممتحنة، آية(١٠).

(٥) ينظر : أحكام القرآن (٧ / ٣٣٣)، وتفسير القرآن العظــيم (٨ / ٩٣) والإصــابة لابــن حجر ت / ٨٥٢هـــــ ن / دار الجيل، بيروت، ط / ١-٢ ١٤١ هــ، (٧ / ٦٤٩ و٦٦٥).

(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٥ / ٤٦٩)، وتفسير القرآن العظــيم (٤ / ٣٣٧)، وروح المعاني (٧ /١٢ / ١٥٨)، والتحرير والتنوير (١١ / ٣٠٢).

M ¤ ¥ ¦ § ¨ © L، وأن لا تفضحوني وتخزوني في ضيفي فان ذلــك إخزاء للمضيِّف [1].

والاستفهام في قوله تعالى: M » ¬ ® ¯ L، للتعجــب والإنكــار والتوبيخ لأن إهانة الضيف مسبة للمضيِّف، وهذا إغراء لهم على التعقل ليظهر فيهم من يتفطن إلى فساد ما هم فيه فينهاهم، فإن ظهور الرشيد في الفئة الضالة يفتح باب الرشاد والهدى والاستقامة لهم وبالعكس تمالوأهم على الباطل يزيدهم ضراوة [2].

وبعد هذه الجولة والاسترسال، والاستقراء نصل إلى الحقيقة التي لا خــلاف فيها، وهي أن المؤمن يغار على حرمات الله تعالى، وذلك من خلال استباق وقــوع الحوادث استعداداً للبلاء قبل نزوله، لذا استاء لوط (عليه السلام) من مجيء ضيوفه من وفد الملائكة (ملائكة العذاب) وذلك عن طريق إخبار زوجته لقومها بهيئــتهم الحسنة الجميلة، لإتيان الفاحشة فيهم.

---

(١) ينظر : النكت والعيون (٢ / ٤٨٩)، وروح المعاني (٧ / ١٢ / ١٦١)، والتفسير المنير (٦ / ٤٣٨).

(٢) ينظر : زاد المسير (٤ / ١٣٩)، وفتح القدير (٢ / ٥٢٥)، والتحرير والتنــوير (١١ / ٣٠٤).

ـ المطلب الثاني ـ

ـ ضيوف لوط في مهمة ربانية ـ

قال تعالى : L m l k j i h g f e M[1].

ولقد بلغ الفجور والاستهتار في قوم لوط أن يــراودوه عــن ضــيوفه مــن الملائكة، وقد حسبوهم غلماناً صباحاً فهاج سعارهم الشاذ الملوث ! وساوروا لوطاً يريدون الاعتداء المنكر على ضيوفه، غير محتشمين ولا مستحيين، ولا متحــرجين عن انتهاك حرمة نبيهم الذي حذرهم وأنذرهم عاقبة هذا الشذوذ المريض.. وعندئذ تدخلت يد القدرة، وتحركت الملائكة لأداء ما كلفوا به وجاءوا من أجله.

L m l k j i M، فلم يعودوا يرون شيئاً ولا أحدا ؛ ولم يعودوا يقدرون على مساورة لوط ولا الإمساك بضيفه!

ثم يوجه الخطاب بقوله : L m l k M، فهو العذاب الــذي حــذرهم منه، وهذه هي النذر التي تماريتم فيها[2] !.

ونستنتج مما تقدم بأن لا عقاب إلا بعد إنذار، فلقد أنذر لوط (عليه الســلام) قومه، وخوّفهم عقوبة ربهم، وأخذه إياهم بالعذاب الدنيوي والأخروي، فشككوا فيما أنذرهم به الرسول، ولم يصدقوه، وفي هذه تبرئته(عليه السلام) منهم وانه قــد قــام بما عليه...ثم اقترن مع كفرهم جريمة كبرى أخرى هي اقترافهم الفــواحش مــن ضيوفه. ولما أصروا على الاعتداء على الضيوف – الملائكة – واقتحام منزل لوط (عليه السلام) أعماهم الله مع صحة أبصارهم فلم يــروهم، إذ ان جبريــل(عليــه السلام)، ضربهم بجناحه فعموا، فطمس الله على أبصارهم فلم يروا الرسل، فقال الله تعالى لهم على ألسنة الملائكة : ذوقوا عذابي الذي أنذركم به لوط جزاء أفعالكم...

---

(١) سورة القمر، الآية (٣٧).

(٢) ينظر : جامع البيان (٢٢ / ٥٩٧)، والمفردات (٥٢٤)، ومفاتيح الغيــب (٢٩ / ٥٤)، وفي الظلال، (٧ / ٢٧ / ٩٣).

ـ المبحث الرابع ـ

ـ الضيافة لموسى والعبد الصالح(عليهما السلام) ـ

المطلب الأول: الضيافة للدعاة:

قال تعالى :M ; < = > ? @ A B C D E L[١].

إن الضيافة، وقِرَى الضيف، كانت في الحياة الإنسانية سمة بـــارزة مـــن سمات المجتمعات، وصفة بارزة لأقوام ورجال فضلاء كانوا يطعمـــون الطعـــام ويقرون الضيوف في سبيل الله تعالى.

فقد كانت في بعض الأحيان، بل في بعض المجتمعـــات ضـــرورة مـــن الضرورات الاجتماعية، وخاصةً في القرى، والأرياف والصحاري، تأميناً للحقوق الاجتماعية، ولا تزال كذلك في عصرنا الحاضر لها دلالة كبيرة ومعاني ســـامية، وبقاؤها على صورتها القديمة يدل على حيوية المجتمع، وتمسكهم بآدابهم الاجتماعية التي تعلموها من الدين والمجتمع، وعلى عراقة هذا المجتمع وأصالته نفسياً وفكرياً واجتماعياً[٢]. والقرآن الكريم قد صوب نظر الإنسان إلى أهمية الضيافة في حيـــاة الدعاة، بمشاهد أنموذجية واقعية مرت في التاريخ في سيرة الأنبيـــاء والمرســـلين، ومنهم سيدنا موسى(عليه السلام)، مع معلمه العبد الصالح قد انطلقا بعد المـــرتين الأوليين[٣].

فأتيا قرية وكانا جائعين، وأهلها أناس بخـــلاء لا يطعمـــون جائعـــاً، ولا يستضيفون ضيفاً فظهر أنهم أناس لا يستحقون شيئاً من الإحسان معهم. وعلم سيدنا موسى أنهم خارجون

---

(١) سورة الكهف، من الآية (٧٧).

(٢) ينظر : التكافل الاجتماعي في الإسلام، لمصطفى السباعي ت / ١٩٦٤م، ن / دار الـــوراق للنشر والتوزيع الرياض، السعودية، ط / ١ – ١٤١٩هـــ - ١٩٩٨م، (١٩١).

(٣) في سورة الكهف، الآيتان(٧١ – ٧٤).

عن الآداب الإنسانية، ومعاشرة المجتمعات[١]. إلا أن القرآن في كل ذلك لـم يوضح، ويكشف شيئاً عن العبد الصالح الذي لقيه موسى من هو؟ وما اسمه ؟ وهل هو نبي أو رسول ؟ أم عالم ؟ أم ولي ؟ ودون تحديد مكان وزمان القرية التي كانوا فيها، وفي كل ذلك حكم وأسرار أخفاها النص القرآني[٢]...

ولابد لنا أن نقف أمام هذه الآية بنتائج نشير إليها بما يأتي :-

١- إن الدعاة الذين يخرجون إلى المدن والبوادي لتبليغ دعوتهم، أو مهمة دعوية أخرى، يجوز لهم أن يقبلوا ضيافة أهل هذه المدن والبوادي، إذا عرضوا عليهم، ولم يجدوا في قبولها مانعاً شرعياً أو اجتماعيا. وكذلك يجوز لهم أن يطلبوا الضيافة إذا كانوا بحاجة إليها، وكذا يجوز لهم الإعراض عنها والاعتذار عن قبولها إذا عرضت عليهم.ويدل على ذلك قوله تعالى :M ; < = > ? @ A B C D E L، أي طلبا الطعام منهم ؛ إما لعدم وجود ما يشتريان به الطعام، أو لعدم توفر الطعام في السوق أو غير ذلك[٣]...

٢- إن رد استضافة الناس الواردين على المدن والقرى والأرياف، عمل مذموم يستحق من ردها أن يذم وينسب إلى اللؤم والبخل، ولهذا قال قتادة : (شر القرى التي لا تضيف الضيف، ولا تعرف لأبن السبيل حقه)[٤].

٣- ويظهر في الآية ان الضيافة كانت واجبة على أهل هذه القرية، وإن سيدنا موسى والعبد الصالح، إنما سألا ما وجب لهما من الضيافة، وهذا هو الأليق بحال

---

(١) ينظر : قصص الرحمن للحمص ن / مؤسسة الرسالة - بيروت – لبنان، ط / ١ – ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م، (٣ / ٣٥٢).

(٢) ينظر : في الظلال (٥ / ١٥ / ١٠٣)، والتفسير الثمين (٧ / ٢٢٤).

(٣) ينظر : المستفاد، د. عبد الكريم زيدان، ن / مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ط / ١، (١ / ٤٠٠)، ومفاتيح الغيب، (٢١ / ١٣٣).

(٤) ينظر : جامع البيان (١٨ / ٧٨).

الأنبياء والدعاة والصالحين[١]. بخلاف من استدل بهذه الآية على جواز السؤال وحل الكدية فقد أخطأ خطأً بيناً[٢]، وإليه ذهب بعض الأدباء كالحريري[٣].

وقد خص الله سبحانه الاستطعام بموسى والعبد الصالح، والضيافة بالأهل، لأن الاستطعام وظيفة السائل، والضيافة وظيفة المسؤول، ولأن العرف يقتضي بذلك فيدعو المقيم القادم إلى منزله يسأله ويحمله إليه[٤].

٤- إن الداعية إذا كان وحيداً في مكان ما، فهو يتصرف حسب ما يعرفه أنه مناسب وملائم لموقفه، أما إذا كان تابعاً لآخر فقد يرتبط بصاحبه في تصرفاته، ولهذا نرى سيدنا موسى (عليه السلام)، حينما كان في مدين [٥]بمفرده، لم يسأل أهل مدين حينما التقى بهم على الماء قوتاً ولا طعاماً، بل قام بمساعدة ابنتي نبي الله شعيب (عليه السلام) ثم تولى إلى الظل واتجه بالدعاء نحو الرزاق وهو الله تعالى[٦].

---

(١) ينظر : المستفاد (١ /٤٠٠).

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٥ / ١٠ / ٢٧٦).

(٣) هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان أبو محمد الحريري البصري، ت / ٥١٦ هـ الأديب الكبير صاحب المقامات الحريرية، ينظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ت / ٦٨١ هـ ، ن / مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٤٨م، ط / ١- ١٩٤٨م مصر (٣ / ٢٢٧)، والأعلام (٢ / ١٧٤). أما قول الحريري هو : (وإن رددت فما في الرد منقصة عليك قد رد موسى قبل والخضر) ذكر في : شرح مقامات الحريري للشربيشي ت / ٦٢٠ هـ، ط و ن / عبد الحميد أحمد حنفي بمصر، ط / ١ – ١٩٥٣، (٢٣٢/٣).

(٤) ينظر : روح المعاني (٩ / ١٦ / ٨).

(٥) مدين : بفتح أوله، وسكون ثانية، وفتح الياء المثناة من تحت، وآخره نون، وتقع محاذية لتبوك بين المدينة المنورة والشام، وفيها البئر الذي استقى منه موسى (عليه السلام) لسائمة شعيب، ومدين اسم قبيلة وهي مدينة قوم شعيب (عليه السلام)، ولهذا قال الله تعالى : (والى مدين أخاهم شعيبا)سورة الأعراف، الآية (٨٥). ينظر: معجم البلدان، الياقوت الحموي، ت (٦٢٦هـ)، ن/ دار صادر، بيروت،ط(٢)، ١٩٩٥م.

(٦) ينظر : تفسير سورة القصص / ٢٣ و ٢٤ لمن أراد الإطلاع.

لكنه هنا في هذه القرية يختلف موقفه عن موقفه في مدين تماماً فهـــو هنـــا يسأل الطعام. وذلك لأن مرحلة الدعوة هذه تختلف عما كانت في السابق ؛ ولأنه هنا تابع[١]...

٥- ونستوحي من هذه الآية ايضاً على مشروعية ضيافة عابر السبيل لأنهـــا شرع من قبلنا، وحكاه القرآن ولم يرد ما ينسخه[٢].

ـ المطلب الثاني ـ

ـ بناء الجدار لقوم بخلاء ـ

قـــــال تعـــــالى : M F G H I J K L I N O P Q R S L[٣]

تقص علينا هذه الآية الكريمة قصة السفرة العلمية التطبيقية التي قـــام بهـــا سيدنا موسى مع العبد الصالح(عليهما السلام) إلى القرية.

بقوله : M F G H L.مائلاً يهم أن ينقض. والتعبير يخلع على الجدار حياة وإرادة كالأحياء.

بقوله : M I J K L I L فإذا بالرجل الغريب – العبد الصـــالح – يشغل نفسه بإقامة الجدار دون مقابل !!!

وهنا يشعر موسى بالتناقض في الموقف، ما لذي يدفع هذا الرجل أن يجهد نفسه، ويقيم جداراً يهم بالانقضاض في قرية لم يقدِّم لهما أهلها الطعام وهما جائعان، وقد أبوا أن يضيفوهما ؟ أفلا أقل من أن يطلب عليه أجراً يأكلان منه ؟

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٥ / ١٠ / ٢٧٥).

(٢) ينظر : التحرير والتنوير (١٥ / ١١٤).

(٣) سورة الكهف، الآية(٧٧).

قال : L S R Q P 0NM :وإلى هنا كان موسى – ونحن الـــذين نتابع سياق القرآن – أمام مفاجآت متوالية إليه لا تعلم لها سراً.. وموقفنـــا منهـــا كموقف موسى، بل نحن لا نعرف من هو هذا الذي يتصـــرف تلـــك التصـــرفات العجيبة، فلم ينبئنا القرآن باسمه، تكملة للجو الغامض الذي يحيط بنا. ومـــا قيمـــة أداسمه ؟ إنما يراد به أن يمثل الحكمة الإلهية العليا، التي لا ترتب النتائج القريبة، على المقدمات المنظورة، بل تهدف إلى أغراض بعيدة لا تراها العـــين المجـــردة فعدم ذكر اسمه يتفق مع الشخصية المعنوية التي يمثلها، وإن القوى الغيبية لتـــتحكم في القصة منذ نشأتها(١).

إن الذي قام به العبد الصالح من الأعمال الغريبة والعجيبة بالنسبة لســـيدنا موسى (عليه السلام)، نستلهم منها أهمية هـــذا الموضـــوع، وتســـتوقفنا مســـؤولية عظيمة، وتذكرنا بمهمة حسية قد غابت عن كثير من الدعاة، وتعلمنا مبدأ أساســـياً من المبادئ الاجتماعية، والتي تكشف عن قوة الترابط بين الإيمان والعمل الصالح، وبين رحمة الداعي وشفقته اتجاه المدعوين، وإفراد مجتمعه من خـــلال الاهتمـــام بشؤون الناس عن غير أن يطلبوا ذلك منه ومن دون أن يأخذ عليه منهم أجرة، وكل هذا يوحي بأن الدعاة يجب عليهم أن يكونوا راغبين في فعل الخير، وإهداء الإحسان إلى الناس حسب الإمكان، ولو كان الناس يرفضوهم، ويمتنعون عن تقديم المساعدة إليهم ؛ لأن ذلك واجب دعوي تفرضه الدعوة ومنهجها على الدعاة.

لذلك نرى حرص العبد الصالح على إصلاحه، ولا يلتفت إلى مـــا انتقـــده عليه موسى بقوله L S R Q P 0N M، ومعلوم ان مهمـــة الـــدعاة لا تنتهي ولن تنتهي، وأنها ليست محصـــورة فـــي محاضـــرات، ودروس، وكلمـــات مختصرة فقط، بل جل مهامهم فعلية وعملية، تحتاج إلى رجال يمكنهم الوفاء بهـــا ليتعدى الخير الكامن من لديهم إلى الآخرين الذين ينتظرون منهم ذلك؛ لأننا : " نرى

(١) ينظر : الظلال (٥ / ١٥ / ١٠٦ و ١٠٧).

كثيراً من الطاقات المدفونة بين جوانح أصحابها، ونلمس جوانب الخير كامنة في النفوس، ولكنها غير متعدية إلى الآخرين لا تنفع ولا إفاده "[1].

نخلص مما تقدم إلى القول بالنتائج الآتية :

١- إن ما قام به العبد الصالح مصاحباً له سيدنا موسى (عليه السلام)، قد بين لنا علوماً أخرى جديدة في الدعوة، ويفرض بواقع الحال التعمق في تلك العلوم، ومن ثم العمل على ضوئها ويمكننا أن نختصر تلك العلوم في :

أ- العلم بفقه المصالح والمفاسد.

ب- العلم بفقه الموازنات بين تلك المصالح والمفاسد.

ج- العلم بفقه الأولويات في درء المفاسد وجلب المصالح، كما يهمنا بأن التعرف على مقاصد الشريعة أمر ضروري بالنسبة للدعاة العاملين في حقل الدعوة؛ لكي يستقيم تعاملهم مع الأطراف المعينة. وغير المعينة في المجتمع، وتمكنهم من الوصول إلى غاياتهم وأهدافهم بأقصر طريقة وأهون أسلوب[2].

٢- الاختلاف في الألوان واللغات والقوميات لا يكون مانعاً للدعاة أمام تقديم الخدمات للمجتمعات مهما كانت مواقفهم، لأن الاهتمام بهم وشؤونهم من الوظائف التي قد كلف الله تعالى أنبياءه بها (عليهم السلام)، لذا نرى العبد الصالح يحرص على إقامة الجدار مع أنه لم يكلفه أحد بذلك، بل يوجد معه من ينتقده عليه، ويحاسبه، ويعترض على فعله ؛ لأنه أعرف بالعناية التي وراء عمله[3].

٣- موقف العبد الصالح توحي بأن فعل الخير لا يحتاج إلى إذن، وهذا ما يؤكد للدعاة إذا قدموا خدمة للمجتمعات أن لا ينتظروا رداً للجميل ولا اعترافا بفضل.

---

(١) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً : لمحمود محمد الخزندار، ن / دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض – السعودية، ط / ٧ – ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م، (١٤٩).

(٢) ينظر : المستفاد (١ / ٣٩٨).

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن (٥ / ١٠ / ٢٧٧).

فأين نحن اليوم من الاهتمام بشؤون الناس والإحساس بالمسؤولية اتجاههم؟...

ـ الخاتمـــــــــة ـ

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على قدوة العـــالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

بعد أن انهينا البحث بعد بذل الجهد، والطاقة التي قدرها الله لنا، لابد لنـــا أن نبين النتائج التي توصلنا إليها :

١- الضيافة هي من الأخلاق الفاضلة وسنن الأنبياء (عليهم السلام)، إذ تجسد هذا الخلق الكريم في أبونا الخليل إبراهيم (عليه السلام)، فكان أول من ضـــيف الضيف، وكان ضيوفه هم الملائكة المكرمين.

٢- مشروعية السلام للضيف، وإن تحية الملائكة الكرام من ضيوف إبراهيم (عليه السلام)، هي نفس تحية المسلمين جميعاً، وقد كان رد التحية مـــن نبـــي الله إبراهيم (عليه السلام)، بأحسن منها لأنه صاحب خلق عظيم ورسالة إلهية.

٣- إن من آداب الضيافة أن يعجل قراه، فيقدم الموجود الميسر من الحال، ثم يتبعه إن كان لديه سعة.

٤- الحرص على وصف أحاسيس المضيف ومخاوفه حين تقديم الطعـــام لضـــيفه وامتناعهم عن الأكل.

٥- قد كانت بشارة الملائكة لسيدنا إبراهيم (عليه السلام)، بـــإهلاك قـــوم لـــوط، وبولادة الغلام العليم (إسحاق)، هما سببان في طرد مخاوف إبراهيم من عدم أكل الملائكة لطعامه وإشعاره بالأمن والسلامة.

٦- ومن الفوائد المستنبطة من آداب الضيافة التي يجب أن يتحلى بها المسلم مـــا يأتي :

أ- استقبال الضيف بالبشاشة والسرور.

ب- الرد على تحية الضيف بأحسن منها.

ج- الإسراع بالقيام بواجبات الضيافة.

د- تقديم أجود أنواع الطعام المتوفرة لدى المضيف وتقديمها إلى مكـــان جلـــوس الضيف وقيامه بخدمته بنفسه على الوجه الأكمل.

هــ - التلطيف بالعبارة عند مباشرة الطعام باستخدامه الألفاظ الطيبة.

و- النظر إلى الضيف عن طريق التلفت والمسارقة لا تحديد النظر، وذلك لمتابعة أكله من عدمه.

٧- إن المؤمن يغار على حرمات الله تعالى ولهذا استاء سيدنا لوط (عليه السلام)، من مجيء ضيوفه من وفد ملائكة العذاب خوفاً من إتيان الفاحشة فيهم.

٨- لا عقاب إلا بعد إنذار، فلقد أنذر لوط (عليه السلام)، قومه، وخوفهم عقوبـــة ربهم، وأخذه إياهم بالعذاب الدنيوي والأخروي.

٩- الضيافة واجبة لسيدنا موسى والعبد الصالح (عليهما السلام)،على أهل القريـــة التي كانا فيهما، وهذا هو الأليق بحال الأنبياء والدعاة والصالحين.

١٠- إن الداعية إذا كان وحيداً في مكان ما فهو يتصرف حسب ما يعرفـــه أنـــه مناسب وملائم لموقفه، أما إذا كان تابعاً لآخر فقـــد يـــرتبط بصـــاحبه، فـــي تصرفاته، بالنسبة للضيافة..

١١- مشروعية ضيافة عابري السبيل لأنها شرع من قبلنا وحكاه القرآن الكـــريم ولم يرد ما ينسخه.

١٢ – الضيافة وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى في عملية التبليغ.

١٣ – إن ما قام به العبد الصالح مصاحباً له سيدنا موسى (عليه السلام)، قد بين لنا علوماً أخرى جديدة في الدعوة هي :

أ – العلم بفقه المصالح والمفاسد.

ب – العلم بفقه الموازنات بين تلك المصالح والمفاسد.

ج – العلم بفقه الأولويات في درء المفاسد وجلب المصالح.

إضافةً إلى أن التعرف على مقاصد الشريعة أمر ضروري بالنسبة للدعاة.

١٤ – الاختلاف في الألوان، واللغات،والقوميات، لا يكون مانعاً للدعاة أمام تقديم الخدمات للمجتمعات مهما كانت مواقفهم.

١٥ – موقف العبد الصالح توحي بأن فعل الخير لا يحتاج إلى إذن...

▪ المصادر والمراجع ▪

*** القران الكريم.**

١) أحكام القرآن،لأبي بكر محمد بن عبد الله الأندلسي المعروف بابن العربي،ت ٥٤٣ هـ، ن/دار الكتب العلمية – بيروت.

٢) الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ت ٨٥٢ هـ، تحقيق/ علي محمد البحاوي، ن/ دار الجيل، بيروت، ط/ ١ – ١٤١٢ هـ

٣)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ت/ ١٣٩٣ هـ، ن/ دار الفكر، بيروت، ط / ٥، ١٤١هـ - ١٩٩٥ م.

٤)الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي ت / ١٩٧٦ م، ن / دار العلم للملايين، بيروت، ط / ١٧ – ٢٠٠٧ م

٥)الأوائل، لأبي بكر احمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني، ت / ٢٨٧ هـ، تحقيق / محمد بن ناصر العجمي، ن / دار الخلفاء للكتاب الإسلامي بالكويت.

٦)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت / ٨١٧ هـ، تحقيق / الأستاذ محمد علي النجار، ن / لجنة أحياء التراث الإسلامي بالقاهرة ١٣٨٧ هـ.

٧)التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ت / ١٣٩٣ هـ، ن / مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط / ١ – ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٨)التفسير الثمين، للعلامة محمد بن صالح العثيمين ت / ١٤٢١ هـ، اعتنى به / أشرف ابن كمال، ن / مكتبة الطبري ومجمع البحرين، ط / ١ – ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٩)تفسير الشعراوي، لمحمد متولي الشعراوي، ن / أخبار اليوم قطاع الثقافة، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
١٠)تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت / ٧٧٤ هـ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة،ن / دار طيبة، ط / ٢ – ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.
١١)تفسير اللباب، لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي ت / ٨٨٠ هـ، ن / دار الكتب العلمية – بيروت.
١٢)التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ. د. وهبة الزحيلي، ن / دار الفكر بدمشق، ط / ٢ – ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
١٣)تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، لسميع عاطف الزين، ن / الشركة العالمية للكتاب – دار الكتاب العالمي، ط / ٣ – ١٩٩٤ م.
١٤)التكافل الاجتماعي في الإسلام، لمصطفى السباعي، ت / ١٩٦٤ م ن / دار الوراق – الرياض، ط / ١ – ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

١٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، ت / ٣١٠ هـ، تحقيق / احمد محمد شاكر، ن / مؤسسة الرسالة، ط / ١ – ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٦) الجامع لأحكام القرآن، لابي عبد محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي، ت / ٦٧١ هـ، تحقيق / محمد صدقي العطار، والشيخ عرفان الدمشقي، ن / دار الفكر – بيروت، ط / ١ – ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
١٧)الدر المنثور في التفسير المأثور، لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ت / ٩١١ هـ، ن / دار الفكر – بيروت ١٩٩٣ م.
١٨)ديوان الفرزدق، لهمام بن غالب الفرزدق، ت / ١١٠ هـ، ن / دار صادر، ودار بيروت ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م.

١٩)ديوان عروة بن الورد، لعروة بن الورد بن زيد العبسي ت / ٥٩٤م تحقيق / عبد المعين الطوحي، ن / وزارة الثقافة والإرشاد بمصر ١٩٦٦ م.
٢٠)روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، ت / ١٢٧٠ هـ، تحقيق / محمد حسين العرب، ن / دار الفكر – بيروت.
٢١)زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن علي بن محمد الجوزي ت/ ٥٩٧ هـ، ن / المكتب الإسلامي – بيروت، ط / ٣ – ١٤٠٤ هـ.
٢٢)سير أعلام النبلاء، لابي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان قايماز الذهبي، ت / ٧٤٨ هـ، ن / دار الحديث – القاهرة ط/ ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
٢٣)شرح مقامات الحريري، لأبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي ت / ٦٢٠ هـ، ن / عبد الحميد أحمد حنفي بمصر، ط / ١- ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م.

٢٤)شعب الإيمان، لأبي بكر، أحمد بن الحسين البيهقي، ت / ٤٥٨ هـ، تحقيق / محمد السعيد بسيوني زغلول، ن / دار الكتب العلمية – بيروت، ط / ١ – ١٤١٠ م.
٢٥)صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري ت / ٢٥٦ هـ، ن / دار ابن كثير اليمامة – بيروت، ط / ٣ – ١٤٠٧ هـ
٢٦)صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري ت / ٢٦١ هـ، ن / دار الجيل والآفاق– بيروت.
٢٧)العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي ت / ١٧٠ هـ، تحقيق / د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، ن / دار ومكتبة الهلال.

٢٨)فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ت / ١٢٥٠ هـ، تحقيق / د. عبد الرحمن عميرة ن / دار الوفاء، ط / ١ – ١٩٩٤ م.
٢٩)في ظلال القرآن، لسيد قطب بن إبراهيم، ت / ١٣٨٧ هـ، ن / دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط / ٥ – ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م.
٣٠)قبس من نور القرآن الكريم – دراسة تحليلية موسعة بأهداف ومقاصد السور الكريمة، لمحمد علي الصابوني، ن / دار السلام، ط / ١ – ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٣١)قصص الرحمن في ظلال القرآن، لأحمد فائز الحمصي، ن / مؤسسة الرسالة – بيروت ط / ١ – ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٣٢)الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي ت / ٥٣٨ هـ، تحقيق / عبد الرزاق المهدي، ن / دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٣)لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ت / ٧١١ هـ، ن / دار صادر – بيروت، ط / ١.
٣٤)المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، د. عبد الكريم زيدان، ن / مؤسسة الرسالة – بيروت، ط / ١ – ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٣٥) معجم البلدان، لابي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ت٦٢٦هـ، ن دار صادر، بيروت، ط/٢، ١٩٩٥م.
٣٦)معجم القراءات، د. عبد اللطيف الخطيب، ن / دار اسعد الدين – دمشق ط / ٢ – ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٣٧) معجم المؤلفين، لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي ت / ١٤٠٨ هـ، ن / مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٨)مفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ت / ٦٠٦ هـ، ن / دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م، ط / ١.
٣٩)مفردات ألفاظ القرآن الكريم، لابي القاسم حسبن بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني ت / ٤٢٥ هـ، تحقيق / صفوان عدنان داوودي، ن / دار القلم بدمشق، والدار الشامية – بيروت، ط / ١- ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
٤٠)مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت / ٣٩٥هـ، المحقق / عبد السلام محمد هارون، ن / إتحاد الكتاب العربي، ط/ ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٤١)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لابي الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي ت / ٨٨٥ هـ، ن / دار الكتب العلمية – بيروت، ط / ٢ – ٢٠٠٢ م.
٤٢)النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، ت / ٤٥٠ هـ، تحقيق/ السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، ن/ دار الكتب العلمية – بيروت.
٤٣)نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب القرشي النويري الكندي، ت / ٧٣٣ هـ، ن / المؤسسة المصرية العامة بالقاهرة.
٤٤)هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً، لمحمود محمد الخزندار، ن / دار طيبة – الرياض، ط / ٧ – ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٤٥)الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي، ت / ٧٦٤ هـ، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ن / دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٤٦)وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان ت / ٦٨١ هـ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد، ن / مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٤٨ م، ط / ١ – ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م بمطبعة السعادة بمصر.